وحرّم خمرًا خلتُ ألباب شربها من الطيش ألباب النعام الجوافلِ

فمدح الرسول برسالته ، وعدّد الفروض والنوافل ، ولخص أركان الدين من طهارة وعبادة ، وتحريم للخمر وذهاب مع الرشاد والخير . وسار على غراره كثير من الشعراء حتى كان القرن السابع للهجرة ، فوضع محمد بن سعيد البوصيرى عدداً من القصائد فى مدح الرسول وأطال فى بعضها حتى بلغ فى الهمزية ما ينيف على أربعمائة بيت ، بسط فيها حياة النبى وفضائله ومزاياه ، ومعجزاته ، ورسم مولده فى ليلة غراء ، وضعته فيها آمنة بنت وهب ، فنالت من فخار ما لم تنله النساء ، وشرفت به بنات حواء ، وأتت قومها بأفضل مخلوق ، ثم بسط النسب الشريف ، وذكر خوارق الولادة ، ووصف تداعى الإيوان وانطفاء النار ، وبسط المعجزة الكبرى فى القرآن من رقيق اللفظ ورائق المعنى ، كأنها الحبّ والنوى أعجب الزرّاع وأدهش القراء حتى حسبوا أنه سحر ، وقد قال فى شمائل النبىّ :

سَيِّدٌ ضحكه التَّبسُّم والمَشْـ ـيُ الهوينى ونَوْمُه الإِغْفَاءُ
مَا سِوَى خُلْقِهِ النَّسِيمُ ولا غَيْـ ـرُ محيَّاهُ الرَّوْضة الغَنَّاءُ

فهو متئد فى مشيته ، جميل فى تبسمه ، خلقه كالنسيم رقة ، ومحياه كالروضة الغناء ائتلاقاً ، وسع العالمين حلماً وعلماً ، فهو بحر خضمّ زاخر بالمجد والخلق الرفيع ، ولذلك خضعت لدينه الأقوام وسارت إلى رايته الأمم . والقصيدة كلها على هذا النمط من المديح الدينى تصوّر الإيمان والخشوع والتقوى والورع والتشفع والرجاء ، والتعلق بأهداب الدين والفرح بالرسالة ، وهى مهداة إلى سيد الرسالة كباقة من أفكار دينية تتقدم يوم الحشر لتشفع لصاحبها يوم تجزع النفوس وتهلع القلوب .

وفى قصيدة أخرى ، ذكر سبب نظمها [1] فى مدح النبىّ فقال : إنه قد

(١) رواية ابن شاكر الكتبى فى تاريخه .